في غياب دور هيئة الحفاظ على المدن التاريخية

صنعاء القديمة.. اهمال دائم.. وتشوهات مستمره

انتشار الاستحداثات المعمارية وتصحر المقاشم وندرة المياه في المساجد.. أبرز السلبيات

{ نتواصل مع قصص الماضي والحاضر بحلقات متتابعة نحكي بين ثناياها سطوراً من الحضارة والتاريخ وحضوراً لملامح فاتنة من الجمال والمتعة نستسقيها من بلاد اليمن السعيد، صاحب المكانة الرفيعة والماضي التليد، وها هي مدينة تفرض علينا أن نتوقف أمامها، لكن على عجالة، لنسبح بين ملكاتها ونستبين مقدار عظمتها ونستطلع بعضاً من مقوماتها التاريخية، وقد لا نفي هذه المدينة ما تستحق، لكن عزاءنا أن الجميع يدرك عظمتها، كيف لا ونحن نتحدث عن مدينة بحجم صنعاء القديمة، التي يصفها بعض السياح بمدينة العجائب والغرائب، فجميل أن تعرف مدينة كصنعاء، والأجمل منها أن تسكنها وأنت القادم من مكان آخر، فقد لا يشعر بعض سكان صنعاء القديمة بعظمتها، لكن القادم إليها يدرك ذلك جيداً، فماذا تحوي صنعاء القديمة من عوامل الإعجاب والإمتاع؟ وما هو الشعور الذي تبعثه عند زيارتها؟ وما هي أبرز معالمها؟ أسئلة بحاجة إلى إجابة.

استطلاع/عبدالباسط النوعة

منذ أن عرفنا صنعاء القديمة وكان هذا قبل ما يزيد عن (١٢) عاماً، لم نستطع أن نفارقها ونعيش في مكان آخر داخل العاصمة صنعاء، يا ترى لماذا؟ هل يكمن السبب في أنها تجمع بين الحداثة والماضي، «الأصالة»؟ أم لحسن ترتيب شوارعها وأزقتها وحاراتها ومواقع أسواقها وروحانية مساجدها؟ أم أن السبب يكمن في الترابط بين جيرانها وجمال منازلها ونقوش نوافذها وقمرياتها؟ أم رائحة الأجداد العظماء، التي تنبعث من بين أرجائها وجمال مقاشمها وعادات أبنائها وحرفهم، قد يكون السبب بعض ما سبق أو كل ما سبق أو أشياء تضاف إلى ما سبق، لكن الأكيد أن صنعاء سكناها عجب، وقد أوضحت إحدى الصحفيات الفرنسيات التي التقيناها أثناء جولتنا في مدينة صنعاء القديمة، عندما سألناها عن رأيها في هذه المدينة، فأوضحت أنها مدينة رائعة جداً، أدهشتها بصورة كبيرة، فقد سمعت وقرأت عن المدينة في الكتب والمجلات، وكذلك وسائل الإعلام، لكن الواقع كان مختلفاً تماماً، فما أوضحته تلك الوسائل عن المدينة قليل جداً.

واعتبرت «صنعاء القديمة أفضل من باريس»، وكثير من السياح الذين التقيناهم خلال السنوات الماضية في مناطق يمنية مختلفة يبدون إعجابهم الكبير بهذه المدينة تاريخاً ومعماراً.

أكثر من (٥٠) مسجداً

وتحوي مدينة صنعاء القديمة، إضافةً إلى المعمار المتميز القائم أساساً على الياجور، الكثير من مقومات الثراء الحضاري، ولعل أبرز تلك المقومات التاريخية يتمثل في المساجد التاريخية القديمة التي يربو عددها عن (٥٠) مسجداً، أهمها الجامع الكبير الذي بني في السنة السادسة للهجرة، وبناه الصحابي «وبر بن يحسين» بأمر من الرسول الأعظم محمد عليه الصلاة والسلام، وقد شهد هذا الجامع الكثير من الإضافات والتوسعات أوصلته إلى الوضع الذي هو عليه الآن، ويقال إن هذا الجامع بني في بستان باذان، وهذا ما أكده لنا أحد كبار السن، الذي التقيناه أمس الأول بالجامع، موضحاً أن المسجد بني على أنقاض قصر غمدان، الذي كان يمتد إلى بستان «باذان» واستخدمت أحجار القصر وأخشابه في بناء الجامع وعمل المصدقات الخشبية للسطح، التي تحوي نقوشاً رائعة التشكيل والألوان.

أكثر من (٣٠) مقشامة

ومن معالم المدينة المقاشم التي يربو عددها عن (٣٠) مقشامة منتشرة في مختلف أرجاء المدينة، وفرت هذه المقاشم متنفسات طبيعية للأهالي وملاذاً لهم ولنوافذهم لتنفس الهواء العليل، حيث تزرع المقاشم التي كانت تستمد مياهها من المساجد أنواعاً من الخضروات والفواكه، لعل أبرزها «البيعة – الكراث» والفجل، «البقل»، والبرقوق وغيرها كثير، وأيضاً تحوي صنعاء الكثير من الآبار والمراتع، والمرتع هو المكان الذي يتم بناؤه حول البئر والمخصص للدابة التي كانت تجلب الماء من البئر، وكان بناء المرتع يتم بطريقة انسيابية، بمعنى من الأسفل إلى الأعلى، حيث ترفع الدابة الماء وتتجه إلى الأسفل لكي لا تشعر بتعب الحمولة، وعندما يفرغ الماء يتم إنزال الدلو فارغاً والدابة تصعد بشكل منحدر، وهذا يؤكد مدى حرص الإنسان اليمني على الحيوان والرحمة به، وتحوي أيضاً مدينة صنعاء القديمة، إضافةً إلى كل ما سبق، «السبل»، ومفردها سبيل، وهي مواقع تنتشر في مختلف نواحي المدينة، توفر المياه لكل ظمآن من البشر أو الحيوان، وبناؤها يتميز بأنه صغير ذو سطح مقبب ويعتمد على الأحجار السوداء القوية وفتحات صغيرة من كل اتجاه باستثناء الجهة التي تحوي باب السبيل، هذه الفتحات تسمح بمرور تيار من الهواء البارد إلى الجرار الطينية التي كانت توجد في السبيل وتحوي في داخلها الماء، وما فاض منها يذهب باتجاه حوض حجري صغير مكشوف يستخدم لسقي الحيوانات، وتشتهر هذه المدينة بأبوابها السبعة وسورها الشاهق، لعل أبرزها الأبواب التي ما زالت على هيئتها حتى الآن «باب اليمن»، الذي أضحى أهم معلم يميز المدينة وبات هذا الباب مقروناً بالمدينة، فلا تذكر المدينة إلا ويذكر معها الباب والعكس.

معاصر الزيوت الطبيعية

كذلك تحوي المدينة العديد من معاصر الزيوت الطبيعية التقليدية التي لا تزال تستخدم الجمل في عملية استخراج الزيت من الأعشاب، فضلاً عن السوق الذي يمثل شهرة أخرى للمدينة، وقد اشتهر سوق الملح بصنعاء كأجد أهم وأبرز الأسواق اليمنية، بل والعربية قديماً، ويتميز هذا السوق الكبير بالترتيب الفائق والتقسيم الجميل، حيث ينقسم إلى أسواق متعددة، كل سوق يختص بتقديم أو عرض سلعة أو سلع معينة، مثل سوق المحدادة، الذي يقدم أدوات الزراعة وغيرها، وسوق المعطارة، الذي يقدم أنواعاً من الأعشاب والعلاجات الطبيعية، وسوق الجنابي، وسوق الورش الذي يختص بالنجارة، وسوق المنقالة، وسوق القات، وسوق البهارات، وسوق المطاعم التي تقدم صنوفاً من الأطعمة الشعبية، أشهرها السلتة، ويحوي هذا السوق العديد من السماسر التي كانت تستخدم إما كمساكن «خانات» أو كمتاجر للبيع والشراء، وهي ذات طوابق متعددة لعل أبرز تلك السماسر سمسرة النحاس وسمسرة المنصورة.

الوضع القائم

عندما تتجول في صنعاء وبقدر الاستمتاع الذي تشعر به والراحة والسعادة، فهناك بعض من الجوانب التي تبعث على الحزن والأسى، لعل أبرز تلك الجوانب التشوهات التي حلت بالمنازل والمعالم التاريخية، والتي استخدم فيها بعض الوسائل والأساليب الحديثة مع أن الدولة قد وضعت عدداً من اللوائح والقوانين المنظمة لعملية البناء والاستحداثات في المدن التاريخية وخصت هيئة مستقلة تتبع وزارة الثقافة للقيام بدور هام يكمن في تنفيذ تلك اللوائح وتنظيم المشاريع التي تحتاج إليها المدن التاريخية بحيث لا تعمل على تشويه طابعها القديم بيد أن الكثير من المراقبين والمهتمين لاحظوا تراجعاً كبيراً في الأداء لهذه الهيئة التي تحوي بين إداراتها فرعاً للنيابة المختصة بخروقات وجرائم الآثار والمدن التاريخية هذا التراجع أدى إلى ظهور عدد كبير من المخلفات المعمارية سواءً استحداث بناء كامل أو جزء من بناء أو غيرها من الأشياء المخالفة لطابع البناء التقليدي.

أثناء تجولك في شوارع وحارات صنعاء القديمة تلاحظ كما هائلاً من المباني المخالفة التي عملت على تشويه طابع المدينة التقليدي وإذا ما ترك الحبل على الغارب كما يقال ستحل كارثة حضارية بهذه المدينة كما حصلت في أختها مدينة زبيد والتي أعلنت من قبل اليونسكو في قائمة الخطر العالمي بسبب مالحقها من تشويه معماري كبير...

ومن ناحية المساجد القديمة التي كان معظمها يحوي آباراً غنية بالمياه أصبحت هذه الآبار جافة وبالتالي افتقر بعض المساجد للمياه وقد تغلق بعض هذه المساجد خاصة هذه الأيام ويعتقد الكثير من الخبراء أن سبب جفاف تلك الآبار هي الطريقة الخاطئة التي تم بواسطتها رصف السائلة التي كانت تغذي المياه الجوفية وهذا الرصف الخاطئ كان له بالغ الأثر في عدم قدرة المياه على الوصول إلى جوف الأرض بسبب الكم الكبير من الخرسانة المسلحة التي وقفت سداً منيعاً يحجب الماء وقد قال أحد المسئولين بالهيئة العامة للمحافظة على المدن التاريخية أن المقترح الذي تقدم به بعض الخبراء ومنهم هولنديون يقضي بضرورة عمل فتحات صغيرة يتم تغطيتها بالحديد «الشبك» تسمح هذه الفتحات بمرور المياه لتغذية الآبار التي كانت تنتشر بصنعاء القديمة..

المرانع والسبل غياب وخفوت

وفيما يتعلق بالمرانع والسبل فقد أصبحت كل المرانع إما مهدمة أو بنيت على انقاضها أو تم موجودة ولكنها لا تعمل أبداً وبحاجة إلى تدخل بالترميم لدوام بقائها أما السبل فهناك من السبل ما يزال يؤدي دوره، ولكن تم الاستعاضة عن الجرار الطينية بثلاجات ماء حديثة تعمل بالكهرباء بيد أن هناك عدداً كبيراً من هذه السبل لم تعد تؤدي دورها..

المقاشم أصبح من النادر جداً أن تصادف مقشامة خضراء لا زالت تزرع ولعل مقشامة القاسمي ومقشامة بستان السلطان تمثلان هذا الجانب بالرغم من أن مقشامة السلطان «بستان السلطان» لا يزرع بصورة كاملة فهناك جزء كبير من لا يزرع على الرغم من أن هذا البستان يحوي بئراً لا يزال غنياً بالماء والماء في هذا البستان متوفر ومع هذا لا يزرع البستان كاملاً رغم أنه متنفس هام للكثير من سكان صنعاء لا سيماء النساء والأطفال ولعل الغالبية العظمى من المقاشم أصبحت متصحرة ولا تزرع وأصبح البعض منها محل إزعاج للكثير من السكان الذين تطل منازلهم على هذه المقاشم والتي أصبحت معرضة للرياح المحملة بالأتربة والأوساخ، فيما تستخدم بعض المقاشم كمواقع لتنصيب المخيمات الفرائحية عند زفاف أحدهم وربما تكون هذه الخدمة بمقابل من يدري؟!

متفرقات

■ خلال الأيام الماضية شهدت صنعاء القديمة معاناة كبيرة مع القمامة بعد أن غابت سيارات القمامة لأيام عديدة، الأمر الذي أدى إلى تراكم القمامات فوق بعضها وباكوام ضخمة جداً ولم يشفع لهذه المدينة مكانتها التاريخية أو حتى ضيق شوارعها وازقتها.

■ كذلك ينبغي الاشارة إلى وجود أماكن وحارات عديدة تعاني رصفاً سيئاً لا يتناسب مع المدينة التاريخية وقد شهدت بعض الحارات والشوارع تهدماً في الرصف بسبب عدم الاتقان في العمل.

■ وتظل مشكلة المنازل التي تهدمت وتضررت بسبب مياة المجاري إلى أساستها والهبوط الذي حدث لتلك المنازل في حارة الجامع الكبير وقد سبق لنا ومنذ سنوات أن اشرنا مراراً إلى هذه المنازل وضرورة عمل الحلول المناسبة للأهالي إلا أن الفصيح لمن يصيح ولا حياة لمن تنادي، وقد تم مؤخراً ومنذ أشهر عديدة البدء ببناء أحد المنازل أو اثنين منها إلا أن العمل متوقف منذ شهور عديدة وما سعينا إلا أن نقول كان الله في عون أهالي تلك المنازل واعانهم على الشترد من ظل هكذا مسئولين...

حول العالم

متابعة/عبدالسلام تامة

الكويت : اكتشافات أثرية تعود إلى ماقبل الميلاد بـ 6 آلاف عام

.. اكتشفت مجموعة من علماء الآثار والتنقيب في الكويت آثار مستوطنات بشرية وأدوات وقبوراً في بر الصبية ومنطقة (بحرة) تعود الى الحضارة العبيدية التي يرجع تاريخها لنحو ستة آلاف عام قبل الميلاد.

وقال رئيس البعثة المشاركة في عملية التنقيب من بولندا البروفيسور بيوتر بيلينسكي في مؤتمر صحافي بمقر السفارة البولندية لدى البلاد أن ما تم العثور عليه في منطقة (بحرة) يعد أقدم مستوطنة بشرية في الكويت والموقع الأثري الأكبر في منطقة اقليم الخليج العربي.

وأضاف بيلينسكي أن منطقة بر الصبية تحتوي على المئات من القبور الأثرية «لكن للأسف نهب معظمها في الماضي واثباتا لذلك وجدنا عظاما مبعثرة عشوائيا وشواهد قبور تعرضت الى الكسر والعبث بها ما صعب من عملية إعادة بناء أو دراسة التكوين البنيوي لتلك القبور وبقاياها».

الاردن 7 : ملايين دينار لتنشيط السياحة العام القادم

.. رصدت الحكومة الاردنية نحو ٧ ملايين دينار لتنشيط السياحة الى الاردن العام الجديد ٢٠١٢ وفى نفس الوقت

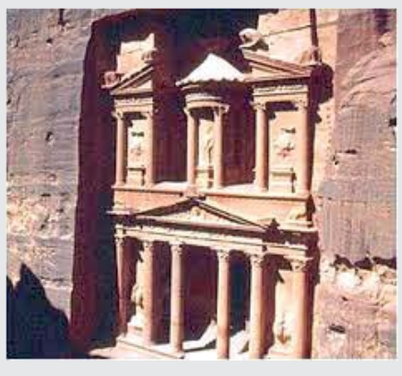

حدد مشروع الموازنة العامة للعام المقبل فيما يتعلق بالدخل السياحى بما قيمته٢٣٥٠ مليون دينار بزيادة٥٠ مليون دينار عن العام الماضى ، وبالنسبة لموازنة وزارة السياحة والآثار فقد تحددت بنحو ٢٠.٣ مليون دينار .

حيث رصدت الحكومة ٦.٨ مليون دينار كموازنة مقدرة لدائرة الآثار العامة ،في الوقت الذي حددت فيه مقدار الدخل السياحي بـ ٢٣٥٠ مليون دينار ،وحددت العديد من المهام والمسؤوليات التي يتوجب على الوزارة ودائرة الآثار العامة القيام بها للعام المقبل.

وبحسب مشروع القانون رصدت الحكومة ٢٠٠ الف دينار لدعم مشاريع هيئة تنشيط السياحة للعام المقبل ،وهي الهئية التي تقع على عاتقها مسؤولية كبيرة في ترويج وتسويق المملكة سياحيا الى جميع دول العالم ،والعمل على ترويج المملكة بأنها دولة آمنة وسط منطقة مضطربة.

كما حدد مشروع القانون زيادة الدخل السياحي خلال العام المقبل ٥٠ مليون دينار ليبلغ حوالي ٢٣٥٠ مليون دينار مقابل ٢٣٠٠ مليون دينار للعام الماضي.

ماليزيا 24 : مليون سائح أجنبي هذا العام

.. أعربت ماليزيا عن قدرتها على تحقيق رقم ٢٤ مليون سائح أجنبي هذا العام على الرغم من المشاكل العالمية المختلفة مثل الزلازل والتسونامي في اليابان، والأزمة الاقتصادية في أوروبا، والاضطرابات السياسية في الشرق الأوسط، والفيضانات السيئة في تايلاند ٠

وقالت وزيرة السياحة الماليزية الدكتورة «إنغ ين ين» لوكالة الأنباء الماليزية إن الوزارة تضاعف جهودها لضمان استقرار حجم التدفق السياحي إلى البلاد مع تحقيق الأهداف المسطرة في السنوات المقبلة ٠

وأوضحت أن من بين الجهود المبذولة التركيز على مقدرات البلاد لجذب السياح، والتفاوض مع شركات الطيران الأجنبية لتوفير رحلات مباشرة إلى ماليزيا ٠

وأضافت قائلة: ناقشنا مع الأطراف المعنية في روسيا لإقامة رحلات جوية مباشرة من روسيا إلى هنا، لأنه لايمكننا أن نعتمد فقط على الخطوط الجوية الماليزية٠